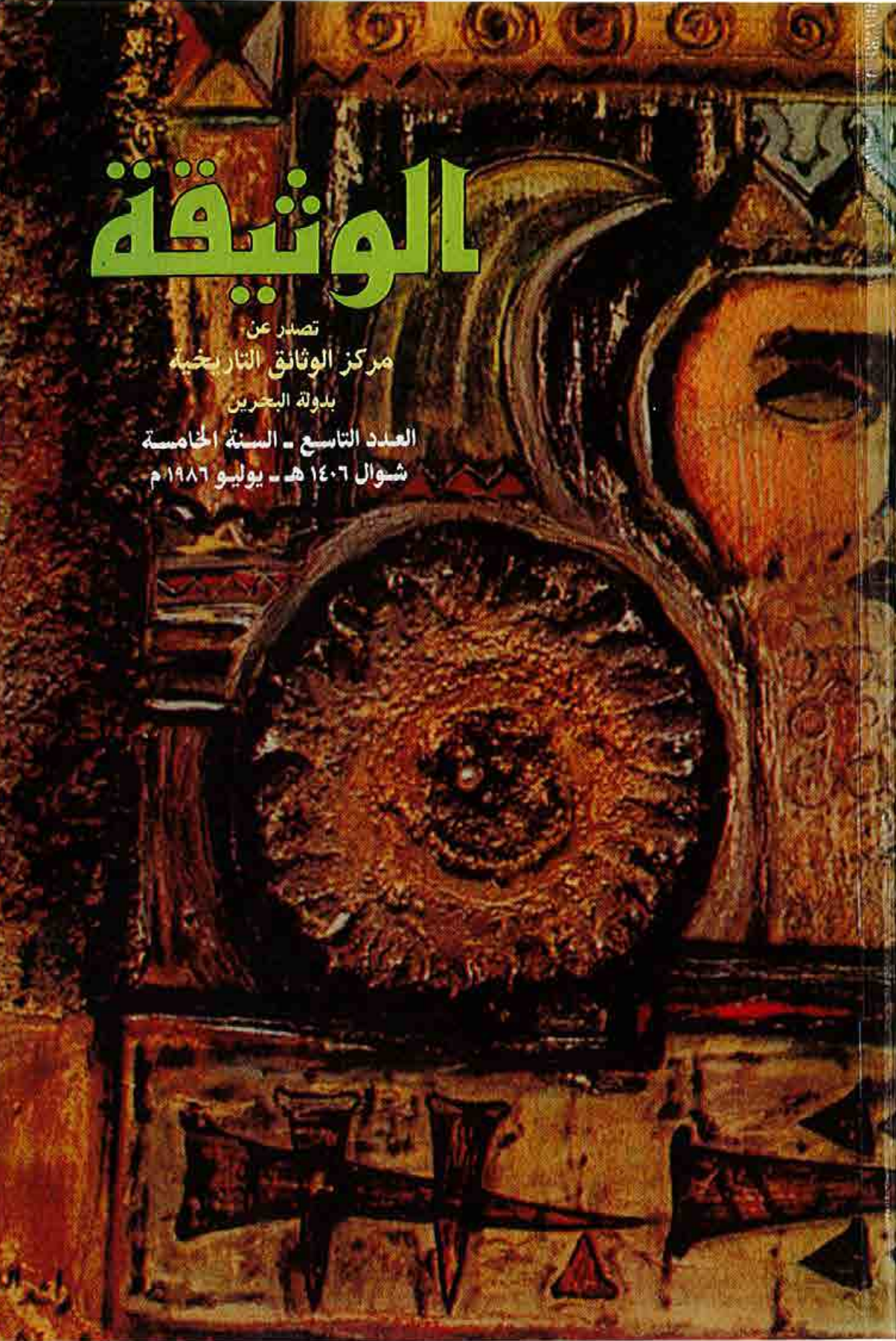
الوثيقة
تصدر عن
مركز الوثائق التاريخية
بدولة البحرين
العدد التاسع ـ السنة الخامسة
شوال ١٤٠٦ هـ ـ يوليو ١٩٨٦م

وعاصمتها صور ، ٧ ـ الظهيرة وتمتد من البريمي الى جبرين ، ٨ ـ الجبل الاخضر ويمتد من قلعة اللوحة الى سمند وعاصمتها نزوة وبهلا ، ٩ ـ بلاد مسقط من برقة الى رأس الجيران وعاصمتها مسقط ، ١٠ ـ بلاد صور من رأس حيران الى رأس الحد وعاصمتها صور ، ١١ ـ جيلان ، ١٢ ـ الساحل الممتد من رأس الحد الى ظفار .

ويزيد مجموع السكان عن مليونين اما القوة العسكرية فتتراوح بين ٥٠ و٦٠ الف جندي. ولقد امضيت في هذه البلاد ما يزيد على شهرين قضيت معظمهما في الشارجة وصحار ومطرح ومسقط والمناطق المجاورة لها. ولكنني اصبت في الاسبوع الاخير من مارس سنة ١٨٦٣ بحمى شديدة بينما كنت في مطرح قادما من بو شهر الذى يقع على الخليج وانني مدين بشفائى ورجوعي الاخير الى بغداد فى نهاية شهر ابريل للعناية الطبية والعطف الكريم الذى لقيته من القبطان سلبي الذي يعمل فى الاسطول الهندي .

"أوال" و"المحرّق"..
دراسة في سبب التسمية

"أوال" هل هو اسم صنم أو سمك قرش

آراء تقول:

"المحرق" مستمد من اسم إله جاهلي أو لقب ملك

في قائمة المفردات التي وردت في كتاب (انجيلا كلارك) بعنوان «جزر البحرين» وهو كتاب لا يمكن الاستغناء عنه، تشير المؤلفة الى اوال «كوثن» والى المحرق «كمحل للحرق» وتصف الكاتبة المحرق بقولها: كان الاسم اصلا يطلق على مكان يقع على الجزيرة يحمل نفس الاسم حيث كان الهندوس يحرقون جثث موتاهم»[1].
وقد قدمت تفاسير عديدة بخصوص مصادر واستخدام هذه الاسماء في التعبير البحريني لكنني لم أعثر على اي تفسير عميق يشرح - وحسب معرفتي - لماذا اختارت البحرين، على الاقل من القرن السادس الى القرن التاسع والمحرق من بداية القرن التاسع عشر الى هذا اليوم، اسماء الهين عربيين من العصر الجاهلي ورغم انني لا ادعى انني حللت هذه المشكلة فانني آمل ان ابدأ نقاشا حول الموضوع بواسطة عرض ما لدي من بعض الادلة التي جمعتها ويجب الا يعتبر ذلك الا خطوة اولى.

بقلم: الدكتور

ت . بوتس . برلين

أوال اسم شعب قديم ؟

لمحة أولية أسطورية

جزيرة اوال :

ان اطلاق اسم اوال على اكبر الجزر البحرينية كان موضع دراسة دقيقة قام بها كل من جيه ـ بوكامب وس. اتش. روبين اخيرا كما ورد في مقال لهما حول النصرانية النسطورية في البحرين من القرن الخامس وخلال القرن التاسع[٢] ما يشير الى ان اوال ذكرت في شعر للشاعر عمرو بن قميئة (توفى حوالي ٥٣٠م ـ ٥٤٠م) هذا الشعر دون في بداية القرن السادس اي قبل الاسلام كما جاء ذكرها في قصيدة «جرير» (توفى حوالي ٧٢٨) وفي اقوال لكل من «تميم بن ابي بن مقبل» و«ثوبة بن الحمير» و«النابغة الجعدي» وقد وردت هذه الاقوال في مؤلفات ياقوت والبكري[٣].

وبقى الاسم مستخدما فيما بعد وحتى الوقت الحديث الى حد ما. وعلى سبيل المثال فان الجزيرة اشتهرت بهذا الاسم منذ اواخر القرن التاسع الى بداية القرن الحادي عشر عندما كانت تحت حكم القرامطة[٤] ولهذا السبب فيما أظن استخدم هذا الاسم في الخلاصة الجغرافية المعاصرة لابن حوقل (توفى ٩٧٧) والمقدسي (٩٤٦ ـ ٩٩٠) والادريسي (١٠٩٩ ـ ١١٦٦)[٥] كما ان التاجر الكبير والكاتب ابن ماجد يذكر اوال في

الفصل العاشر من مؤلفه الجامع حول الملاحة الذي كتبه حوالي ١٤٨٩م - ١٤٩٠م[٦]. ويحتفظ «كارستن نيبور» بهذا الاسم في خريطته للخليج العربي التي رسمها اثناء سفره من مسقط الى فارس في عام ١٧٦٥[٧] ويجب ان نذكر هنا استثنائين كما يقول بوكامب وروبين فالرحالة الايراني «ناصر خسرو» يستخدم الاسم الحديث اي «البحرين» وليس اوال فيما كتبه عن رحلاته بين عامي ١٠٣٥ و١٠٤٢ م ويشير به الى الجزر[٨] ويوجد مثال اخر في الموسوعة اللاهوتية تحت عنوان «مصباح الظلام» كتبه القديس القبطي «شمس الرئاسة» (توفى ١٣٢٥) والمشهور باسم «ابوالبركات»[٩] نجد فيه في مادة «تاديوس اديسا (تاديوس الرهوي) الذي عاش على جزيرة البكرين وهي جزيرة في «البحر الاحمر». وقد الف كتاب «المعلم والطلاب» الذي يحتوي على ٤٣ بحثا[١٠]. ونحن نقصد باصطلاح «البحر الاحمر» نفس المعني الذي تدل عليه الكلمة المرادفة له باللغة الاغريقية وهي «البحر الاريثري» التي وردت في الزمن القديم وتطلق على الحزام البحري بالكامل الذي يحيط بشبه الجزيرة العربية من مياه الخليج العربي والمحيط الهندي والبحر الاحمر.

لقد ورد اسم الجزيرة كـ «بكرين» بفتح الراء حسب رموز كودكس البرلينية وكـ «بكرين» بكسر الراء حسب مخطوطة فاتيكانيه وك «تكرين» في الكتابة الرومانية وكلها ليست الا تهجيات مختلفة لكلمة البحرين.

هذه الامثلة المبكرة لاستخدام اسم البحرين في الاشارة الى جزيرة أوال كما يبدو ، لم تكن إلا استثناء من قاعدة عامة. عندما اطلق «كارل ريتر» اسم اوال على البحرين في سنة ١٨٤٦[١١] ان انطباعنا هو انها كانت كلمة مهجورة بالفعل[١٢]. **ولقد كان جي ـ دبليو بلجريف مخطئا عندما اعرب عن رأيه بلا مبالاة قائلا ان كلمة «اوال» لم تكن الا نتيجة سوء تفاهم لغوي. قال بلجريف «ليست هناك جزيرة كبيرة او صغيرة في الخليج تحمل اسم «اوال»[١٣] وحتى في وقت متأخر كعام ١٩٠٨ كتب جيه جي لوريمر امين الارشيفات البريطاني الكبير بان اسم اوال اصبح مهجورا مع انه لايزال متذكرا[١٤]. وفي عام ١٩٢٠ استخدمه عالم الاقتصاد الفرنسي «آر ـ فادالا» ليشير الى اكبر جزيرة من جزر البحرين[١٥].**

وفيما يتعلق باصل كلمة «البحرين» هناك عدة نظريات (وهي اقوال لكل من «بلاو» و«سبرنجر»

و«جلاسر» و«هومل» وترجمت من الاصل الالماني).. ونعرض لها فيما يلي حسب الترتيب الزمني:

دبليو . بلجريف ١٨٦٥م:

«يوجد سمك القرش في سائر الخليج بصفة عامة ويعرف باسم «اوال» وهي تسمية هندية للقرش(★) والكلمة العربية الصحيحة هي كلب البحر وكم كان مسليا ان اجد «نيبور» نفسه مثل بعض السياح الاخرين وبسبب عدم المامهم بدقائق الظروف المحلية. يطلق كلمة «اوال» على المكان وسموا جزيرة البحرين باسم السمك المذكور الذي مع انه يوجد بصفة عامة بعيدا عن شواطئها الا انه لا «يرتبط بها ارتباطا كبيرا. لذلك اصبحت البحرين في بعض الخرائط والكتب تسمى «اوال» او «القرش» مثلما يحدث اذا جاء اجنبي الى ساحلنا الشرقي وبعد زيارة له يشير الى انجلترا في مذكراته بـ «الرنكة» او «الاسقمري»[١٦].

أو . بلاو ١٨٧٣م:

«اعتقد ان الاواليون[١٧] تشير الى سكان جزيرة اوال الواقعة في الخليج»[١٨].

أ . سبرنجر ١٨٧٥م

تيلوس تسمى الآن «جزر البحرين» وكانت في السابق اوال وهو اسم لاحد الآلهة عبدته قبيلتا وائل بكر وتغلب ، وكانت قبيلة وائل ذات قرابة مع سكان ساحل (الجزيرة العربية) ، عبدالقيس ونظرا لانهم عبدوا «اوال» فربما كان له معبد ايضا على الجزيرة. ويقول المسعودي بان سكان الجزيرة كانوا من «بنى معان» و«بنى مسمار» وكلتاهما ربما تنتسبان الى عبدالقيس[١٩].

جيه . تي . بينيت ١٨٩٠م:

لتسميد نخائلهم فانهم يستخدمون زعانف السمك من نوع يسمى «اوال» وبالمناسبة كان هذا اسما قديما

★ - هنا في البحرين لا نسمي سمك القرش كلب البحر وانما نسميه جرجور والجمع جراجير او (يربور - يرايير)

اما كلمة اوال فليست من اسماء القرش. وليس هناك اي صلة بين كلمة عوال بالعين وبين كلمة اوال ولكن الغربيين لا يفرقون في النطق بين العين والالف في اول الكلمة وصحيح ان كلمة عوال تعني سمك القرش المجفف في الشمس ولكنه يأتي غالبا من عمان وليس من البحرين.

عبدالله بن خالد آل خليفة

لجزيرة البحرين[٢٠].

اي . جلاسير ١٨٩٠م

ان كلمة الاواليين[٢١] لا تتطابق كلية مع سكان جزيرة «اوال» لكنها مرتبطة بهم اسما ومصدرا اذا كان هناك من يميل الى ان يفتش عن الاواليين.. في جزيرة «اوال».. ومع ذلك فمما لا شك فيه ان بليني كان يفكر في المنطقة الغربية الداخلية وفي الحقيقة توجد «اوال» في الحجاز وتدعى اوال الحجازية وهي قريبة جدا من «السويداء» التي تقع على سفر يوم واحد على طريق الحج من مصر وسوريا شمال غرب المدينة وجاء ذكرها في كتاب الهمداني المعنون «الجزيرة» ص ١٣٠ ـ ١ ـ ١٨ ـ هـ وقد يكون «الاواليون» الذين اشار اليهم «بليني» هم سكان اوال الحجازية اي من منطقة شمال غرب المدينة.. ومن البديهي أن وجود اسم اوال في الشرق وايضا في الداخل يدل على وجود ارتباط بين القبائل المعنية وفي ايام «بليني» ربما تواجد الاواليون في الداخل فقط (بالقرب من المدينة) وهاجر بعضهم فيما بعد الى الشرق ربما مع «اللحيانيين» او قد يكون لهذه القبائل فروع في الخليج دائما وحدثت تحركات مستمرة بينها جيئة وذهابا في كافة الادوار التاريخية[٢٢].

جيه . جي لوريمر ١٩٠٨

وطبقا للتقاليد كان اوال اسم من احتل (الجزيرة) لاول مرة وهو اخ لشخص يسمى «نعسان» ويوجد هذا الاسم ايضا في تسمية جزيرة «أم نعسان»[٢٣].

ف. ب. بريدو ١٩١٢:

«ان احدى جزرهم «اوال» سميت على اسم آله لهم وكان آله اخر يسمى «المحرق» واليوم فان المحرق هو اسم لثاني اكبر جزيرة ومدينة في المجموعة والمدينة نفسها تضم ٢٠,٠٠٠ نسمة من السكان[٢٤].

ف. هومل ١٩٢٦:

في بداية الاسلام كان الاسم العربي للجزيرة هو اوال أي الحوت والاسم الحالي هو (سمك) ويعني السمكة.. ويقول العرب ان اوال هو اسم اله كانت تعبده قبيلتا بكر وتغلب اللتان تنحدران من وائل.

وينظر في ذلك قصائد الشعراء العرب القدماء التي نقلها ياقوت ١ ـ ٣٩٥ والبكري ١٣١ كوثائق (وتذكر السفن الهندية واوال في قصيدة للشاعر جرير) ولسان العرب حيث تلعب جزوع نخل اوال دورا خاصا[٢٥].

اي . ماكي ١٩٢٩

ياقوت ، المؤرخ العربي ، يقول ان سكان البحرين القدماء كانوا من الحميريين وليسوا من العرب ، بسبب نطقهم المختلف وكتابتهم الخاصة التي تختلف عن كتابة الجزيرة العربية ويستطرد قائلا بانهم سموا احدى جزرهم «اوال» على غرار اسم اله من آلهتهم أما المحرق فهو اسم لإله اخر. ان الاسم القديم للبحرين وهو اوال معروف طبقا لما جاء في المصادر الاخرى وان كان كونه اسما لآله امرا مشكوكا فيه اما المحرق وهو اسم يطلق على جزيرة صغيرة تقع في شمال شرقي البحرين فان هذه الجزيرة ودون شك كانت تستخدم كمحل لاحراق جثث الهندوس في الماضي. وتعني الكلمة لغويا «محل الاحراق» ويقال ان كلمة اوال تعني باللغة العربية الفحص وكما قيل لي لحم الحوت المجفف[٢٦].

خلاصة القول بانه يمكن لنا ان نتعرف على ٤ مدارس رئيسية حول مصدر الاسم اوال في سياقه البحريني. المجموعة الاولى يمثلها كل من (بلاو) و(جلاسير) وتربط الاسم بالشعب الذي كان يعرف حسب المصادر القديمة «بالاواليين» عند بليني اوبالا و النوي عند جلاوكوس.

والمجموعة الثانية التي يمثلها كل من «سبرنجر» و«بريدو» و«هومل» تربط هذا الاسم باله يسمى «اوال» في عصر ما قبل الاسلام. وتقترح المجموعة الثالثة علاقة «بين الاسم وبين اسم عربي لنوع من القرش «بلجريف» او سمك السفن (بينت) او الحوت (هومل) او لحم القرش المجفف (ماكي) واخيرا يذكر لوريمر أحد الأقوال بأن أوال كان اسما لأول شخص سكن الجزيرة.

ومن بين هذه النظريات فان النظريتين الاخيرتين لا تعتمدان الا على الحديث الفولكلوري ويمكن تجاهلهما لانهما لا تعتمدان على مصدر واقتراح «جلاسر» لا يتطابق مع معظم الدلائل الاخرى التي تشير الى وجود ارتباط بين الاواليين ومنطقة المدينة والبحر الاحمر وحتى ساحل الصومال[٢٧].

ولن نكون مجافين للحقيقة اذا قلنا ان الملاحظة التي أثارها «بلاو» تجاهلها العلماء الذين جاءوا فيما بعد تماما ورغم ذلك هناك ما يشير الى ان ما اكتشفه «بلاو» صحيح. فقد اشار الى نصوص كتاب «الآثار العربية» لـ «جلاوكوس». ولا يوجد هذا الكتاب الآن وتاريخه مجهول لكنه يحتوي على ٤ مجلدات في الاصل[٢٨]. وقد عرفنا عن هذا الكتاب بواسطة عشر فقرات

من المجلدات من ٢ الى ٤ وردت في (اتنيكا) وهي موسوعة «ستيفان البيزنطي» ودونت حوالي ٥٣٠ ق.م[٢٩]. وحسب ما يقوله «جلاوكوس» فان (عمانا بوليس) التي يحتمل انها كانت تقع على شبه جزيرة عمان كانت بالقرب من شعب يدعوه «اوالينوي». وقد تجاهل جيه تكاك في ١٩٠٧ هذه الحقيقة تماما عندما ناقش موضوع اوالينوي ولذلك لم يعين اي موقع لهم[٣٠] وحتى اذا افترضنا صحة ما قاله «بلاو» حول الربط بين أوال و«أوالنوي» أي سكان أوال فان هذا التفسير لا يشرح سبب اطلاق اسم أوال على البحرين. وليس أمامنا إلا أن نبحث عن العلاقة بين اسم مدينة «أوال» وبين الوثن الذي يحمل نفس الاسم في الجاهلية.

اوال المعبود

وكما لاحظنا في اقوال هومل ، اشار ياقوت (أ ـ ٣٩٥) الى أوال كمعبود للقبائل العربية الشمالية الهامة بكر بن وائل وتغلب[٣١]. ومن سوء الحظ فاننا لا نعرف شيئا يذكر عن طبيعة اوال. ولكن دلائل عديدة تشير الى قدم هذا الآله فيوجد نسبة للالوهية في اسم شخص كـ «السماوال» وتعني ابن «اوال» وقد ورد هذا الاسم في قائمة الموظفين بمدينة (نينوى) في العصر الآشوري الحديث[٣٢] وربما ورد ايضا في اسم عموري في بداية الالف الثاني (ابي امال) وعرف هذا الاسم في نصوص بابلية قديمة تم حفرها في ابوحطب او كسورة القديمة في موقع يقع على بعد ٢٠ كيلومترا من شمال غرب «نبور»[٣٣].

ولننظر الآن الى القبيلتين اللتين عبدتا اوال حسب ما ورد من أقوال كانت قبيلة «بكر بن وائل» مستقرة في شرق الجزيرة العربية. وحسب ما يقوله الطبري قاتلهم الامبراطور الساساني سابور الثاني في الهجر (الهفوف الحديثة) عندما شن هجمات على شرق الجزيرة العربية حوالي ٣٢٥م[٣٤]. وكانت قبيلة تغلب متمركزة بعيدا في الشمال في الصحراء بين الجزيرة العربية والرافدين وسوريا. يقول الطبري ان سابور بعد ان وصل الى المدينة من خلال غزواته في الجزيرة العربية اتجه الى الشمال نحو الحدود الرومانية الساسانية حيث اصطدم مع «تغلب» وبالنسبة للاسرى الذين أسرهم سابور يقول الطبري «انه اسكن بعضهم في

البحرين التي تسمى (دارين) وتسمى ايضا حايج وفي الخط[٣٥]★.

واستخدم الطبري كلمة «البحرين» ليشير الى شرق الجزيرة العربية مثل الجغرافيين العرب القدماء[٣٦] و«دارين» معروفة كمدينة رئيسية في جزيرة «تاروت» وكان «الخط» اسما اطلق تقليديا على الشريط الساحلي بين القطيف والعقير[٣٧]. ان ممر دارين ، الذي يدعى حايج ، ايضا سبب بعض المشاكل دائما لان حايج ، لم يكن معروفا كأسم لمدينة. الا انه في العصر الحديث اقترح كل من «بوكامب» و«روبين» تعديلا بسيطا ليقرأ النص «دارين وسماهيج[٣٨]» و«سماهيج» هو اسم معدل لـ «مسماهيج» الذي اطلق على المحرق سابقا ولايزال يطلق على قرية صغيرة في المحرق وحسب وصف جاء به لوريمر عن سماهيج ، فقد كان فيها آنذاك ١٥٠ بيتا من السعف[٣٩] وهكذا يورد لنا النص الجديد معنى هاما هو ان افراد قبيلة تغلب عابدي «اوال» كانوا متواجدين في جزر البحرين في اوائل القرن الرابع.

وفي ضوء هذه الشهادة يقول كل من بوكامب وروبين انه من المحتمل ان جزيرة اوال اخذت اسمها من وثن لقبيلة تغلب[٤٠] وفضلا عن ذلك يقول «ت فهد» بأن أصل كلمة أوال هو «اول» وهي الاصل لكلمة «ال» والله بمعنى «الترشيد والادارة والاشراف على قضاء وقدر لمجموعة منهم الافراد» اي الدلالة على السلطة العليا[٤١] واذا كان بالامكان تصور ان قبيلة «تغلب» التي استوطنت البحرين من جديد اخذت اسم مقرها الجديد من اسم احد آلهتها اي «اوال» الا انه لا يوجد دليل على ان اوال كان إلّها رئيسيا لهم. وهناك امكانية تصور اخر. فقبل مائة سنة بالضبط تقدم العالم الاسكتلندي الكبير دبليو روبرتسون سميث بتعليل جديد عن كلمة «اوال» مما قد يشرح بصورة افضل سبب اطلاق هذا الاسم على البحرين. يقول الكاتب بانه يوجد ارتباط بين «وائل» و«اوال». فالاول مأخوذ من وأل اي لجأ[٤٢] والثاني يمثل شكلا اخر لـ «وئال» اي ملجأ ، ومعناه اصلا ليس آله بل ملجأ. ويصبح الاسم «بنو موأل» اي

★ ـ عن قبائل ربيعه ومنهم بكر وتغلب ابناء وائل وعلاقتهم بالبحرين راجع كتاب البحرين عبر التاريخ صفحة ١١١ الطبعة الثالثة ونحن نؤيد ان الاسم هو اسم صنم لابناء وائل.

عبدالله بن خالد آل خليفة

ابناء الملجأ[٤٣] ويدعم هذا التفسير الى حد ما (سميث ١٨٨٥: ١٩٤). فطبقا لما يقوله «روبرتسون سميث» فمن الممكن أن نستنتج أن أسم أوال أطلق على الجزيرة لأنها كانت ملجأ أو مأوى. فمتى حدث ذلك ياترى؟

كانت الجزيرة تدعى تيلوس في عصر البارثيان وعرفت به عند الجغرافي الكبير بطلميوس حوالي ١٥٠م[٤٤] وسميت اوال في حوالي ٥٣٠م ـ ٥٤٠م كما يظهر من قصائد عمرو بن قميئة ويرجح ان التغيير في الاسم بدأ في اواخر العصر البارثي او العصر الساساني اي بين عامي ١٥٠ و٥٣٠ تقريبا.

وهناك حدث تاريخي مؤكد يبرر في رأيي اعادة تسمية الجزيرة باسم «الملجأ/ المأوى» ذلك حينما يصف الطبري غزوة سابور الثاني للجزيرة العربية كما ذكر سابقا ، بأنه سفك الدماء بغزارة حتى سالت كأنها نهر متدفق من السيل وحتى من فر لم يشعر بأي امان في اي موقع سواء كان مغارة في الجبل او جزيرة في البحر يمكن ان ينقذه (من مخالب سابور)[٤٥] ومن نجا من قبيلة «تغلب» اعتبر نجاته مجرد معجزة. فمن المعقول اذن بأن الذين وصلوا الى البحرين نهائيا ويثبت ذلك هجرتهم الى سماهيج ، اعتبروا هذه الجزيرة في البحر «ملجأ ومأوى» فسموها أوال. وقد يرشدنا هذا ايضا الى تحديد تاريخ كتاب «آثار الجزيرة العربية» للمؤلف «جلاوكوس» وكما لاحظنا سابقا فان كتاب «اثنيكا» لـ «ستيفان البيزنطي» ينقل عن «جلاوكوس» وقد كتب في حوالي ٥٣٠م فمن المرجح ان اشارة «جلاوكوس» الى «سكان أوال» ترجع الى العصر الساساني المبكر.

جزيرة المحرق:

ولننتقل الآن الى المحرق..

يطلق هذا الاسم على اصغر الجزيرتين الرئيسيتين وهو نسبيا اسم حديث وكما كان «اوال» هو الاسم السابق لاكبر الجزر البحرينية كذلك كان الاسم «عراد» اسما للجزيرة التي تعرف اليوم باسم المحرق[٤٦].

وهذا الاسم بدوره هو ما تبقى من الاسم القديم «عرادوس» الذي يستخدمه «سترابو» لوصف هذه الجزيرة[٤٧] وهناك اسم اخر للجزيرة في الاصطلاح الاوروبي وقد وجد في كثير من خرائط القرن الثامن عشر ، استمد من اسم قرية سماهيج. فعلى سبيل المثال نجد المحرق تحمل اسم «سمكة» في خرائط الجزيرة العربية لـ «هرمن مول» لعامي ١٧١٠

و١٧١٢ وفي «أحدث وأدق المشاهدات» وفي «الخريطة الجديدة للجزيرة العربية» لعام ١٧٣١ التي اعدها «اسحق تريون» وفي «خريطة آسيا» لعام ١٧٥١ لـ «بورجنون دانفيل»[٤٨] ويظهر نفس الاسم بتغيير بسيط بشكل «سماهي» في خريطة نيبور لعام ١٧٦٥ المعنونة «سانيوس برسيكوس»[٤٩]★.

وأقدم الاشارات الاوروبية الى المحرق والتي عثرت عليها ترجع الى ١٨٢٩ وتوجد في قصة للرحالة «جيه ـ

★ يكاد يكون من المؤكد ان اسم المحرق لم يطلق على جزيرة المحرق الابعد ان اسس الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة مدينة المحرق في عام ١٢٢٥ هـ الموافق ١٨١٠م. واصبحت المدينة أكبر مدينة في الجزيرة فسميت الجزيرة باسمها اما تسمية المدينة بالمحرق فحسب رواية النبهاني فإن المكان الذي شيدت عليه المدينة كان يسمى المحرق وانه سمى المحرق لان المجوس كانوا يحرقون موتاهم فيه والمعروف ان المجوس يرمون جثث موتاهم للطيور تاكلها فهل كانوا يحرقون بقاياها لا اعلم انما المؤكد ان المكان كان يسمى المحرق قبل ان تنشا فيه المدينة لان النبهاني استقى معلوماته من الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة والشيخ ابراهيم عاصر والده وكثيرين من سكان المحرق الذين عاصروا بداية انشائها ولكن في ذلك الوقت لم يكن اسم المحرق من الشهرة بحيث تسمى الجزيرة به وكانت تسمى جزيرة سماهيج او جزيرة عراد.

وكلمة سماهيج مشتقة من كلمة سمهج وتعني فتل الحبل. وكانت هذه القرية مشهورة بصنع الحبال في الزمن القديم وكانت الحبال من الحاجات الضرورية لاهل البحرين خاصة وانها كانت تستعمل لربط الواح السفينة بعضها ببعض في الزمن الغابر ولم يكونوا يستعملون المسامير انذاك. (راجع المنجد تحت كلمة «سمهج» او «سمو».

وطبيعة الارض المستوية والمجاورة لهذه القرية تساعد على مد الحبال ودمجها مع بعضها البعض لتكون ثخينة وقوية وتسمى محليا بيطة وتستعمل لرفع الشراع وتسمى «بسه» ولربط السفينة بالمرساة وتسمى (عتاد) وتدخل في كثير من حاجات السفينة وفي اواخر زمن الغوص شاهدت كثيرين من اهل البحر يمدون حبالهم في المكان الذي يشغله مطار البحرين الدولي في الوقت الحاضر.

عبدالله بن خالد آل خليفة

اس ـ بكنجهام» حيث سميت فيها الجزيرة باسم «عراد» وأطلق على «مدينة رئيسية» فيها اسم محاراد[٥٠] وقد يوجد برهان اخر اقدم يثبت هذا الاسم ولكن «ريتر» كتب في عام ١٨٤٦ بان «قلعة محرق» شيدها عبدالرحمن[٥١] وهو الابن الثالث والوريث لـ احمد بن محمد الخليفة الذي توفى في ١٧٩٤م[٥٢] وذكر لوريمر ان قلعة ابوماهر ذات الـ ٤ ابراج تدعى احيانا قلعة المحرق ، لانها ضربت بالقنابل وجردت من تجهيزاتها في ١٨٦٧م ولاحظ الكاتب ان ابوماهر هي قرية تحاصرها المياه عند المد وتتصل بجزيرة المحرق عند الجزر[٥٣] واستخدام «ريتر» لاسم «عبدالرحمن» خطأ والصحيح هو عبدالله بن احمد آل خليفة★ الذي يقال بانه اعاد بناء القلعة في ١٨٤٠ على قاعدة قلعة برتغالية[٥٤] وبصرف النظر عما اذا كانت هناك قلعة برتغالية قائمة في نفس الموقع في القرن السادس عشر فان اسم المحرق الذي يرتبط بالقلعة غالبا لم يكن شائعا في ذلك الوقت المبكر. ودون شك فان هذا يفسر عدم وجود اي مرجع عن المحرق في التقارير الهولندية المفصلة حول البحرين والخليج من وسط القرن الثامن عشر[٥٥].

وقد وجد «بريدو» ارتباطا بين اسم جزيرة المحرق وبين اسم مماثل لآله جاهلي (يكتب عادة محرق بكسر الراء) وتتبع ماكي نفس المنهج في التفكير ويضيف اليه علاقة هذا الاسم بطقوس الهندوس فيما يتعلق باحراق الجثث ويقال ان هذا التقليد كان يتبع هناك فلننظر الى المحرق في عصر ما قبل الاسلام.

المحرق ـ الاله واللقب:

طبقا لما يقوله ياقوت (٤ ـ ٤٢٥) كان المحرق «وثنا» لدى بكر بن وائل وقبائل ربيعة الاخرى في سلمان (مدينة عراقية بالقرب من الحيرة). وكان الابناء ينذرون لهذا الاله في كل خيمة من خيام ربيعة. وكان الكهنة من

★ القلعة البرتغالية التي يشار اليها هي في المكان الذي شيدت عليه قلعة عراد المعروفة حاليا. اما قلعة ابي ماهر التي شيدها الشيخ عبدالله بن احمد الخليفة فلم يكن في موقعها قلعة سابقة.

عبدالله بن خالد آل خليفة

الاسود من «عجل» (فرع من ربيعة). وفي «عنزة» يتردد قولهم «بلغ ابن المحرق» وفي «عميرة» و«غفيلة» كانت هناك (عائلتان تحملان اسم) عمر بن المحرق[٥٦]. وتعني كلمة المحرق ايضا «الموقد» وقد يقصد بها انه «اله شمسي»[٥٧]. ونظرا لذكر نذر الابناء للاله فقد ظن كل من «جيه. ولهاوزن» (١٨٨٧ ـ ٥٧) و«دبليو ـ روبرتسون سميث» بأن قول ياقوت يعني تقديمهما كقرابين بشرية[٥٨]، بينما يعتبر كل من نولدكه والاخرون الذين جاءوا بعده بان الابناء ينسبون فقط للاله تقديسا له[٥٩].

ولم تكن حجة «روبرتسون سميث» قائمة على مجرد اللاهوتية بل انه اشار الى حقيقة ان الكثيرين من ملوك اللخميين في الحيرة كانوا يتبعون الساسانيين ويحكمون من منطقة الحدود بين الجزيرة العربية والرافدين حملوا لقب «المحرق» وساد الاعتقاد احيانا بان اللخميين كانوا يحرقون الاسرى من اعدائهم ولكن المصادر العربية اللاحقة لم تجمع على تحديد الملوك اللخميين الذين حملوا هذا اللقب[٦٠]. وهناك قولان شائعان تجدهما دائما هما حسبما يقوله كل من «ياقوت» (١ ، ٣٦٤) و«ابن الاثير» (١ ، ٤٠٩) ان الملك اللخمي عمرو بن هند (حكم من ٥٥٤م الى ٥٧٠م) اشتهر بلقب «المحرق الثاني» لانه احرق ١٠٠ من اسرى «تميم» احياء انتقاما لمقتل اخيه[٦١]. وان امرأ القيس وهو ملك لخمي قديم عثر «ار. دوسو» في ١٩٠١ على قبره في النمارة في جنوب سوريا ، اشتهر أيضا بلقب «المحرق الاكبر» وان كان السبب في هذه التسمية غير معروف[٦٢].

وطبقا لقول اخر فان شيوع هذا الاسم بين اللخميين يعود الى احراقهم للنخيل في اليمامة بوسط الجزيرة العربية[٦٣].

وفي مناسبة اخرى يلاحظ ياقوت (٤ ، ٤٢٥) ان قرية في اليمامة كانت تدعى (المحرقة) بعد ان احرقت في القرن الخامس اثناء قتال نشب بين قبيلتي حنيفة و«عبيد»[٦٤].

وبالاضافة لاطلاق هذا اللقب على بعض الملوك اللخميين فان ابن قتيبة اطلقه ايضا على منافسيهم «الغسانيين» وكذلك فعل «الكلبي»[٦٥]. ويرجع «ابوالفداء» هذا الى احراق الغسانيين بدورهم للعاصمة اللخمية «الحيرة»[٦٦]. على ان لقب «المحرق» اصبح اسما للسلالة الغسانية في حين اقتصر

استخدامه بين اللخميين على الافراد فقط.[٦٧]

هذه الامثلة ، كما لاحظ «روتشتاين» في القرن الاخير عامة تتناول عملية الاحراق واعتقد بانها هي التفسير لما قام به الكتاب العرب من الربط بين المحرق ، كإسم للاله الذي يعني «الموقد» لغويا واسماء الاشخاص الذين اكتسبوا لقب «المحرق» ولكن فهد لا يقبل هذا التفسير على اساس ان «المنذر الثالث» وهو الملك اللخمي الذي قتل ٤٠٠ من اسرى الراهبات في ٥٢٩م وكذلك قتل منافسه الغساني «الحارث بن جبلة» في ٥٤٤ لم يشتهر باسم «المحرق»[٦٨] ويلاحظ فهد بان هذه القرابين كانت مقدمة الى العزى وليس للمحرق. كما لم يلق جميع ضحايا «المنذر» حتفهم بالاحراق[٦٩].

ولا ترجع كل الآراء حول تسمية المحرق للوثن الجاهلي او الى ملوك اللخميين او الغسانيين. فقد لاحظ «روتشتاين» بأن «محرق» دون (ال) التعريف يشار بها في بعض الاحيان الى بطل اسطوري في الزمن القديم[٧٠] نقلا عن بيت شعر ورد في اشعار «البكري» معناه: ان ملابسنا دروع لامعة ورثناها عن محرق ، لونها كلون السماء المزينة بالنجوم[٧١] ـ ويقول «روتشتاين» انه بخلاف ما خطر ببال الكتاب العرب القدماء وبخلاف ما ظنه «ف ـ و ـ شوارتسلوز» (١٨٨٦ : ٣٢٤) وطبقا لما ورد في ١٨٨٦ في مقالة عن «الاسلحة لعصر ما قبل الاسلام» فان «محرق» كان حدادا شبه اسطوري وبعيدا كل البعد عن ان يكون ملكا لخميا. ويعتقد «روتشتاين» ان الاسطورة والتاريخ شابهما الاضطراب مما ادى الى غموض حقيقة «محرق» وان بامكاننا دون صعوبة ان نتصور وجود هذا الارتباك في العلاقة بين محرق كآله مرتبط بالنار و«محرق» كبطل ترتبط مهنته باستخدام هذه النار وكما اوضح «نولدكه» في عام ١٨٨٨ فان الكتاب العرب الذين امتدحوا «محرق» كصانع سيوف ودروع بديعة لم يعرفوا الشخص الذي اطلق عليه هذا الاسم[٧٢] ومازلنا نواجه سؤالا صعبا هو: ما هي العلاقة ان كان هناك ثم علاقة بين اسم الجزيرة وبين «المحرق» او «محرق» في عصر ما قبل الاسلام او في بدايات العصر الاسلامي. ان التفسير الذي قدمه «ماكي» في ١٩٢٥ حول استخدام كلمة «المحرق» لتدل على احدى الجزر حيث كانت تحرق جثث الموتى يشبه التفسير الذي قدمه «روتشتاين»

بشـأن اللخميين والغسـانيين الذين احرقوا او اتهموا باحراق اعدائهم او قراهم الا انه ليس هناك ادنى شك في انه لا توجد اية اهمية في الاستعمال البحريني لحقيقة ان الكلمتين «اوال» و«محـرق» كانتـا اسمـين لآلهـين في العصر الجـاهلي. وذلك لان المصـادر العـربية التي تتضمن اسمـاء هـذه الآلهة لا تشير الى وجود اية علاقة من هذا النوع يضاف الى ذلك ، كما تبين من تحقيقنـا هـذا ان الاسمـين لم يتداولا معا في البحرين قط. اذ كانت «اوال» اسمـا رئيسيا لاكبـر الجـزر البحرينية لحـوالي ١٣٠٠ سنة قبـل استخدام اسم «المحرق» لاول مرة في اوائل القرن التاسع عشر.

والخلاصة ان هذه الهوامش حول مصادر واستخدام اشهـر اسمين في جزر البحرين تستهدف اثارة مسألتين هـامتين امـام كل المعنيـين بالتـاريخ القديم للمنطقة.

المسألة الأولى هي: انه توجد هناك دون شـك مصادر أخـرى كان يجب دراستها.

والثانية ان هنـاك تفاسـير اخرى اغفلت تماما. ورغم ذلك فاننا نأمل ، ان هـذه الجولة السـريعة في تـاريخ البحرين القديم الذي لا نعـرف عنه كثيرا يمكن ان تحث الآخرين بواسطة تـزويدهم بـالمعلومات المنـاسبة عـلى القيام بدراسة مثمرة لاسماء المواقع الجغرافية في الخليج العربي.

الهوامش

١ ـ كلارك (١٩٨١ ـ ٢٧٤ ـ ٢٧٨)
٢ ـ بوكامب وروبين (١٩٨٣ ـ ١٧٦)
٣ ـ انظر تيلو ١٩٥٨ ـ ١١٠ ـ وبروكلمان: ١٩٤٣ ـ ١٣
٤ ـ مايلز: ١٩١٩ ـ ١٢٧ ومادیلنج ١٩٧٦ ـ ٦٦٤
٥ ـ وستنفلد (١٨٧٤ ـ ١٨٣)
٦ ـ تبيتس (١٩٨١ ـ ٢٢١)
٧ ـ نيبور (١٧٧٤ ـ جدول ١٩)
٨ ـ بوكامب وروبين (١٩٨٣ ـ ١٧٦)
٩ ـ جراف ٢ (١٩٤٧ ـ ٢١٩)
١٠ ـ ريديل (١٩٠٢ ـ ٦٨٣)
١١ ـ ريتر (١٨٤٦ ـ ٤٢٢)
١٢ ـ انظر بوكامب وروبين (١٩٨٣ ـ ١٧٧ والهامش ٢٠)
١٣ ـ بلجريف (١٨٦٥ ـ ٣٢١)
١٤ ـ لوريمر (١٩٠٨ ـ ١٨٦)
١٥ ـ فا دالا (١٩٢٠ ـ ٣)
١٦ ـ بلجريف (١٨٦٥ ـ ٣٢١)
١٧ ـ جلاوكوس الجزء الاول.
١٨ ـ بلاد (١٨٧٣ ـ ٣٢٢ هـ ـ ٩)
١٩ ـ سبرنجر (١٨٧٥ ـ فقرة ١٥٤)
٢٠ ـ بينيت (١٨٩٠ ـ ٩)
٢١ ـ بليني (التاريخ الطبيعي ٦ ـ ١٥٧)
٢٢ ـ جلاسر (١٨٩٠ ـ ٨١ ـ ٨٣)
٢٣ ـ لوريمر (١٩٠٨ ـ ١٨٦)
٢٤ ـ بريدو (١٩١٢ ـ ٦٢)
٢٥ ـ هومل (١٩٢٦ ـ ٥٤٢)
٢٦ ـ ماكي وهاردنج وبتري (١٩٢٩ ـ ٢٨)

٢٧ ـ توما سجك (١٨٩٦ ـ ٢٢٦٣)
٢٨ ـ اليعقوبي (١٩١٠ ـ ١٤٢٠)
٢٩ ـ حار تنر (١٩٧٩ ـ ٣٥٩)
٣٠ ـ تكاك (١٩٠٧ ـ ٨٣٧)
٣١ ـ انظر سميث ١٨٨٥: ١٩٤ ـ وولهاوزن ١٨٨٧ ـ ٦٤ وفهد ١٩٦٨: ٤٧)
٣٢ ـ زادوك (١٩٧٧ ـ ١١٩ ، هـ ٦٤)
٣٣ ـ زادوك (١٩٨١ ـ ٥٠ هـ ٥٦)
٣٤ ـ نولدكه (١٨٧٩ ـ ٥٧)
٣٥ ـ نولدكه (١٨٧٩ ـ ٥٧)
٣٦ ـ وستنفلد (١٨٧٤. وانظر تيلو ١٩٥٨ ـ ٣٤)
٣٧ ـ تيلو (١٩٥٨ ـ ٥٩)
٣٨ ـ بوكامب وروبين (١٩٨٣ ـ ١٧٤)
٣٩ ـ لوريمر (١٩٠٨ ـ ١٢٦٨)
٤٠ ـ بوكامب وروبين (١٩٨٣ ـ ١٨٠)
٤١ ـ فهد (١٩٦٨ ـ ٤٧ و٤٨)
٤٢ ـ (ابن دريد ص ٧٩)
٤٣ ـ ابن دريد ١٦٠
٤٤ ـ كالفيت (١٩٨٤ ـ ٣٤٢)
٤٥ ـ نولدكه (١٩٧٩ ـ ٥٦)
٤٦ ـ لوريمر (١٩٠٨ ـ ١٢٦٧ ومايلز ١٩١٩ ـ ٣٢٢ وانظر خريطة الخليج العربي لنيبور ١٧٧٤ جدول ١٩).
٤٧ ـ جغرافية (١٦ و٣ و٤) وبطلميوس جغرافية ٦ و٧ و٤٧ وستيفان البيزنطي وسبرنجر (١٨٧٥ فصل ١٥٥) وانظر كالفيت (١٩٨٤ ـ ٣٤٢).
٤٨ ـ تيبتس (١٨٧٨ ـ ١٣٠ ـ ١٤٨ ـ ١٦٥)
٤٩ ـ نيبور (١٧٧٤ جدول ١٩)
٥٠ ـ ارتكاس للاسم القديم عراد/ عرادوس او محاراق ـ بكنجهام ١٨٢٩ ـ ٤٥٣.

ولا يفوتني هنا ان اشكر المستر روبرت جارمن من جمعية البحرين للتاريخ والآثار الذي ارسل لي الهامش التالي:

«في الوقت الذي ظهر فيه مؤلف باكنجهام كتب الكابتن بروكس المذكرة الوصفية للملاحة البحرية في الخليج الجزء الاول الذي يتناول الجانب العربي بتاريخ ٢١ اغسطس ١٨٢٩ لكن الكتاب لم ينشر بصفة عامة حتى ١٨٥٦ حيث نشر هذا الجزء مع بقية المذكرة في مختارات من سجلات حكومة بومباي المجلد ٢٤ ص ٥٣١ ـ ٦٣٤ وكتب بروكس ما ياتي في الصفحة ٥٦٦.